العزلة والمصير الإنساني في رواية ((خاتم الرمل)) لفؤاد التكرلي

د. علي كاطع خلف
كلية الآداب / جامعة الكوفة
قسم اللغة العربية

مدخل

لعله قد اصبح من المسلمات في البحث الأدبي ، ان الرواية هي الجنس الأدبي الذي أخذ بالسيادة في العصر الحديث على غيره من الأجناس الأدبية ، وذلك لأسباب عديدة ربما امكننا الإشارة الى سببين اساسيين وراء ذلك ، احدهما فني وآخر موضوعي ، اما الفني فانه يعود الى طبيعة الرواية بوصفها جنساً قادراً على استيعاب بقية الأجناس الأدبية والتعبير من خلالها ، يقول باختين في هذا الصدد : ((ان الرواية تسمح بان ندخل كيانها جميع انواع الأجناس التعبيرية ، سواء كانت أدبية

(قصص ، اشعار ، قصائد ، مقاطع كوميدية) او خارج- ادبية (دراسات عن السلوك ، نصوص بلاغية وعلمية ، ودينية ، الخ) . نظرياً ،فان أي جنس

تعبيري يمكنه أن يدخل الى بنية الرواية ، وليس من السهل العثور على جنس تعبيري واحد لم يسبق له ، في يوم ما ، ان الحقه كاتب أو آخر بالرواية. وتحتفظ تلك الأجناس ، عادةً ، بمرونتها ، واستقلالها ، واصالتها اللسانية والأسلوبية))(١) ، بل اننا نجد من يذهب الى القول بان الرواية قد اصبحت ((ممثلة تقريباً للأدب بصورة عامة.))(٢) ، ليس

هذا فحسب ، بل ((ان ظهور الرواية هو في الحقيقة لا ظهور ((النثر)) وحسب ، بل وظهور الأدب بكل ما في هذه الكلمة من معنى.))(٣)

اما السبب الموضوعي فيمكن ايجازه ببساطة من خلال تعبير جورج لوكاتش عن الرواية بقوله : ((الرواية هي النوع الأدبي النموذجي للمجتمع البرجوازي.))(٤) ، أو بالأحرى هي ((ذاك النوع الملحمي الكبير ، ذلك التصوير الحكائي للكلية الأجتماعية))(٥) وهي بهذا المفهوم الجنس الأدبي الأشمل والأدق تعبيراً عن المجتمع وفي الوقت نفسه عن الفنان المبدع لهذا الجنس الأدبي ، يقول أحد الأدباء الألمان في هذا الصدد ((ليس هناك أي شكل آخر يستطيع ان يعبر عن روح المؤلف نفسه بمثل هذه الدرجة من الكمال.))(٦)

ومع الألتفات الى ايماننا العميق بما يذهب اليه لوسيان جولدمان من انه ((كلما كان العمل تعبيراً صادراً من مفكر او عبقري كلما امكن فهمه في ذاته بدون ان يلجأ المؤرخ الى سيرة الكاتب او الى نواياه .))(٧) ، ونحن اذ نقوم بقراءة رواية ((خاتم الرمل))(٨) لفؤاد التكرلي والبحث في مشكلة العزلة فيها ، ربما نكون غير بعيدين عن الصواب اذا ما قلنا ان الفرد والمجتمع والحضارة والسياسة والجنس تلتحم فيها الى درجة قد يتعذر معها عزل كل عنصر عن العناصر الأخرى الا من وجهة النظر البحثية .

في طبيعة الرواية وبنائها الفني

أن هذا الفنن في المضمون ينعكس علن طبيعة البناء الفنني لهذه الرواية فهي تجمع بين اشكال وانواع متعددة من الرواية ، فهي من ناحية ، يمكن ان تعد ((رواية شخصية)) ، وهذا النوع من الروايات يعده أدوين موير اهم اقسام القصص النثري ، وتمتاز بانها ليس ((فيها بطل ولا فيها ذلك الشخص الذي يندفع في تهور الى الحدث ، ولا اية حبكة بارزة اكثر مما ينبغي ، وليس فيها حدث حاسم تشارك كل عناصرها في صنعه ، ولا النهاية التي يتحرك نحوها كل شيء فيها .))(٩) فالمواقف مبينة هنا في سبيل امداد القاريء بمزيد من المعرفة عن الشخصيات او لتقديم شخصيات جديدة ثم يمضي الى القول في حديثه عن الشخصيات في هذا النوع من الروايات وعلاقتها بالحدث وما يطلبه القاريء ((كل ما نطلبه منه ان يكشف عن صفاتها المختلفة التي كانت لها منذ البداية ، فان تلك الشخصيات تكاد تكون ثابتة على حالة واحدة . انها كمنظر طبيعي مألوف ، يدهشنا من وقت لآخر اذا ما طرأ عليه مؤشر من ظل او ضوء يغيره ، او عندما نراه من زاوية جديدة .))(١٠) ، فمنذ بداية الرواية نجد ((هاشماً)) يصرح ((ان طبيعة الأمور في هذا العالم لا تلائمني ، وحقيقة ذاتي لا تمتزج تماماً بما هو حولي .))(١١)، وتستمر هذه الطبيعة النفسية للشخصية كما هي حتى نهاية الرواية من دون أي تغيير ، والحقيقة ان بناء الرواية على هذا الشكل لا يأتي من مجرد توجه شكلي او رغبة اعتباطية لدى المؤلف ، بل هو ضرورة املتها طبيعة الموضوع المتناول وعناصره المختلفة ، ولعل اهمها الأحساس بالعزلة والأنفراد التي تشعر به الشخصية على امتداد صفحات الرواية ، وكما سنرى بعد قليل .

ومن جهة اخرى هي رواية ((رجولية)) كما يطلق على هذا النوع من الروايات ر.م.البيريس في كتابه ((تاريخ الرواية الحديثة)) وهو يعني بكلمة رجولي ((عالما تكون فيه تفاصيل الحياة البشرية في تعقيدها المؤثر اقل قيمة

من معناها الأساسي ، والأصلي .))(١٢) ، فهي رواية ((تستبعد الأنفعالية)) و ((صورة عن الحياة مبسطة جداً و فعالة واساسية.))(١٣) ، ويصفها في مكان آخر بأنها رواية الوضع البشري ، يقول عنها : ((لقد حررت رواية الوضع البشري في منتصف القرن العشرين لبرهة ما ، الأسطورة الروائية ، من فرط الحساسية وحب التفاصيل والملاحظة لكي تفرض على نحو موجز جداً – فالملاحظة لا تفقد حقها قط – المطلب الزائد والمبسط للأنسان امام مصيره.))(١٤) ثم يبين لنا كيفية تعامل هذه الرواية التي يدعوها هنا برواية ((الطاقة)) مع القاريء ((فالقاريء ، دون ان يتيه ، كما هي الحال في رواية الفن ، في زوايا غير عادية في الرؤية ، ينتزع من مقعده القابع فيه كمتفرج يتلهى ، او كملاحظ يقظ ، ويدعى للأتحاد بقلق الشخصية الأساسية وبحركتها الحيوية ، بل بحركتها السينمائية تلك ، الشخصية والتي يطرح فيها معنى الحياة على بساط البحث.))(١٥)، ومما لاشك فيه ، ان هذه الرواية التي تطرح العديد من هذه الأسئلة التي تثير قلق الشخصية والتي يطرح فيها معنى الحياة على بساط البحث مثل ما معنى ان يكون الانسان انساناً. يقول ((ليس الأنسان انساناً دون شرط او امتحان ، لأن الحالة الأنسانية المعترف بها ، ليست حالة آلية ، تلتصق بهؤلاء الذين نسميهم بشراً منذ ان يخلقوا ولا تفارقهم حتى وهم تراب . هذا الوضع مرفوض ولا يطاق .

فما دمنا بمفردنا هنا ، وكل شيء ... الكل ، معجون ، في الواقع ، بافعالنا ، وجب ان تكون الحالة الأنسانية بشروط ولا تنال مجاناً مثل منحة من لا أحد أو لقية في الطريق العام .))(١٦)، او في مناقشة مشكلة الموت في الوجود الأنساني : ((فخطر لي ، دون سبب ، ان البشر لا يفكرون ابدا بالطريقة التي يموتون بها ، ولا في أي مكان سيقع فيه هذا الحادث الفذ الذي ليس وراءه من احداث .))(١٧) ، هذه الأسئلة وغيرها التي تطرحها الشخصية الروائية هنا ، تدعو القاريء ، كما يرى البير يس ، لا يتلهى بقراءة هذه الرواية ، وانما ليلاحظ

دراسات نجفية ـــــــ

بيقظة ، ويتحد مع قلق الشخصية من اجل التوصل الى حلول لما تطرحه من مشاكل على بساط البحث تثير قلقها على الدوام ، بل انه يصبح بعد هذا ((من حق الروح ان تقلق على الدوام وان تجزع .))(١٨) ، فهذه الرواية ، إذن ، تخرج عن خطوط الرواية التقليدية من حيث كونها تتوجه بالدرجة الأولى الى عقل القاريء اكثر من عاطفته ، وليس أي قاريء ، وانما هو القاريء الفطن والمتابع بدقة. وربما أمكننا القول فيها ، انها شكل من أشكال ((رواية الأفكار)) التي هي ((شكل قصصي خاص بعصر ((قلق)) أي عصر لم تثبت فيه المعايير تثبيتاً لا محيد عنه ولا تغيير له.))(١٩) ، وهو ما يعبر عنه هاشم بقوله ((فجتمع السبعينات هذا ، الداخل في عملية اجهاض كبرى ، لم يكن مستعداً لمهادنة انسان مستوحش معزول مثلي .))(٢٠) .

العزلة والمصير

اذا كان النقاد يؤكدون اهمية الأستهلال في العمل الأدبي وتحديداً النصوص الروائية وان ((ما من شيء يحدث في النص الأدبي الا وله نواة في الأستهلال.))(٢١) ، افليس لنا الحق بعد هذا ان نتساءل ، عن معنى الأستهلال في ((خاتم الرمل)) ، الذي يأتي على الشكل : ((... وانا بمفردي ، وراء المقود اسوق ، لا تشغلني الوجهة التي اقصدها .))(٢٢) ،خاصة وان اهم عنصر في هذا الأستهلال يرد في النهاية. وهو في حالة الأنفراد والعزلة ، فتنتهي الرواية بالكلمة نفسها التي ابتدأت بها ((ولسبب مبهم هززت له رأسي بالأيجاب لم تأخذ منه عملية اشهار المسدس وتصويبه بثبات الى جبهتي ، الا جزءاً من الثانية . رأيت عينيه الميتتين ، متوجهتين نحوي ، ولمحت ارتجافة خفيفة اسفل احداهما . لم يبق من كلام آخر . كنت بمفردي))(٢٣).

ومن اجل ان تعرف معاني ودلالات هذا الأستهلال وهذه الخاتمة المأساوية ، يتوجب علينا المرور بكل الشخصيات المهمة في هذه الرواية والعلاقات التي

حاولت الشخصية الرئيسة ((هاشم)) ان تقيمها معها وطبيعة هذه العلاقات .

ولنبدأ بأقوى العلاقات وأكثرها تأثيراً في حياته ، والمتمثلة بصلته بأمه ((سناء)) ، وربما كان المقطع الآتي الذي يتحدث فيه هاشم عن طفولته وعن صلته بأمه يفتح امامنا افاقاً واسعة في محاولة معرفة طبيعة تلك الصلة المعقدة : ((وكانت امي سناء تبذل جهدها كي ، نبقى ، أنا وهي ، في زاوية او ركن لا يشاركنا فيه احد . كنت اميل الى الدخول في حلبة الآخرين لكنها كانت تستحوذ علي وتغرقني بحنان وحب لا فكاك منهما .))(٢٤) ، فهاشم هنا كأي طفل في مثل سنه يميل الى المشاركة واللعب مع اقرانه ، كما يشير هو الى ذلك ، الا ان والدته كانت تبذل جهدها كي يبقيا وحدهما دون مشاركة احد ، ومع ملاحظة ما يؤكده علماء الأجتماع من ان الذات ((تعاني حاجة عميقة الى ان تنعكس انعكاساً حقيقياً في ذات اخرى وان تتأكد وتتحقق بواسطة ذات اخرى ((...)) والواقع ان الذات تسعى الى الأتصال الروحي ((بأنا)) أخرى ، صديقاً يريد ان يتوحد معها وبذلك يؤكدها ويعجب بها ويصغي اليها ، وبأختصار ان يعكسها . وهنا تكمن الدلالة العميقة للحب .))(٢٥) ،

ومع الأخذ بعين الأعتبار هذه الحاجة العميقة فأننا نجد هاشماً لا يشعر بأي احساس بالعزلة في طفولته على الرغم من انه لم يكن له سوى صديق واحد هو ذلك الصبي الاعرج الذي اصطحبه معه يوم ميلاده(٢٦)، والسبب في ذلك يعود الى ان هذه الذات قد وجدت ذاتاً تتوحد معها وتنعكس فيها ، متمثلة بأمه سناء ، الأمر الذي ادى الى ان يبدأ لديه ، مع فقدانه لوالدته الشعور بوطأة الأحساس بالعزلة ولم يكن والده ليملأ هذه الفجوة التي حصلت بغيابها ، ذلك اننا نلحظ عداء واضحاً يكنه لوالده منذ طفولته سببه الرغبة في الأستحواذ على حب امه لوحده من غير ان يشاركه فيه احد . تقول له : ((لا عليك . لا عليك انت يا حبيبي . لن ينال مني . ابداً ابداً . انت ملاكي يا بني وأنا مثلك . انت لي . انت لي ولن اكون لأحد بعدك.))(٢٧)، لذا بعد غيابها لم يكن والده يصلح لأن

يحل محلها اساساً ، ولأنه كان يراه نداً له ، بل اننا نجده يصرح بان والده لا يحبه ، كما يقول في حديثه مع خاله (والدي لا يحبني يا خالي)(٢٨)، ولا يتردد هو الآخر باعلان كرهه له يقول : ((لم ينطـــق ابي باقوال ذات اهمية ما ، وها هو مرة اخرى امامي يتضارب مع الريح والمطر وينفث كلماته الهوجاء التي اجد الآن اني اكرهها مثلما اكرهه.))(٢٩)، ولم تكن عمته قادرية قادرة على ان تحل محل والدته التي كانت له وحده فقط ،لأن تلك العمة كما يرى هو نفسه ((كانت على الدوام موزعة العواطف بين أخيها وبيني .))(٣٠)، لذا لم يبق امامه سوى خاله الذي لم يكن يفهم منه الكثير(٣١)، ولا يلبث ان يتخلى عنه بعد ان تحدث عن والدته بما يكره ، فيظل يئن تحت وطأة الأحساس الرهيب بأنه ذلك الكائن ((الحزين المتألم والمعزول المستوحش.))(٣٢)، الا انه لايلبث ان تظهر في حياته امرأة اخرى ، هي دكتورة سلمى التي تتدخل محاولة حل المشكلة القائمة بينه وبين زوجته واهلها ، بصفتها ابنة عم زوجته آمال ، وتحاول مخلصة ان تجنبه عواقب هذه المشكلة ، وما قد يلحق به من أذى بسببها ، الا انه يقابلها بلا مبالاة ، وعدم اهتمام تثير استغرابها ، ومن الطريف هنا اننا نجده ينظر الى دكترة سلمى بأشتهاء واضح : ((كانت مستديرة نحوي ، تضم ساقيها بقوة ، وتشير بذراعيها لتأكيد معاني كلامها ، وكان جبينها ابيض ناصعاً وكذلك رقبتها وجيدها المكشوف . لم استطع منع نفسي من خطف نظرة الى ملتقى نهديها العاليين .))(٣٣)، بل اننا نجده يغار عليها ((كان جسماً متناسقاً بوضوح ، مليئاً ذا منحنيات ضايقني ان افكر انها قد ترتاح لأعجاب الرجال بها))(٣٤)، ومما له دلالة كبرى هنا ، ان هذه المرأة المشتهاة من قبل هاشم تشترك مع والدته في صفة شديدة التأثير فيه تكمن في استعمالها للعطر المسمى لحن الزمان ، هذا العطر الذي يثير فيه عواطف و غرائز مكبوتة متضاربة ((آنذاك بهدوء ولطف تامين تسللت الى نفسي نفحة رقيقة من العطر الذي تضعه . كانت منعشة ، سحرية ، أرجفت قلبي ، نيناريجي لحن الزمان . تسارعت انفاسي بعض

الشيء وشعرت بنفسي مستسلماً الى لذة غريبة اشتعلت فجأة في كياني .))(٣٥)، ولنلاحظ انه يصرح باحساسه ((بلذة)) اشتعلت في كيانه ، بل انه ليذهب الى ابعد من هذا حين يوحد بين امه سناء ودكتورة سلمى من خلال هذا العطر حين تزوره في المستشفى وتمسك بيده وتضغط عليها ((كنت سعيداً مشوشاً فاقد القدرة على الحركة او على فتح عيني لرؤية من كان بجانبي ، ثم استنشقت رائحتها العطرة التي أعرفها منذ صغري .. منذ الأزل كانت تضع الدورق المميز امامها حين تجلس تتزين وتمر لحظات وينتشر في الجو عبق تلك الرائحة .. ((لحن الزمان)) .. نيناريجي .))(٣٦).

فإذا اخذنا بالحسبان هذه النظرة الشهوية الى د. سلمى وطبيعة علاقته ((المميزة)) بوالدته وتماهيها في كثير من الأحيان في نظره مع دكتورة سلمى تلك(٣٧)، والألتفات الى ان الرواية نص دال وان كل عنصر من عناصر الرواية ، بل كل كلمة وعبارة فيها ، له دلالته المقصودة وغير الأعتباطية في عملية البناء الفني ، فلا يبقى لنا الا ان نشير الى طبيعة العقدة التي يعاني منها هاشم والمتمثلة ((بعقدة اوديب)) فما هي هذه العقدة ؟

يقول فرويد في وصفه عقدة أوديب : ((يمكن وصف حالة الطفل في ابسط صورها كما يأتي : يبدأ الولد الصغير في سن مبكرة يشعر بالحب نحو ((امه)) ، وهو حب كان في الأصل متعلقاً بثديي الأم ، أما فيما يتعلق ((بالأب)) فان الولد يقوم بتقمص شخصيته . تبقى هاتان العلاقتان جنباً الى جنب لفترة من الوقت ، ثم تأخذ الرغبات الجنسية المتجهة نحو الأم تزداد في الشدة ، ويأخذ الأب يبدو وكأنه يعوق تحقيق هذه الرغبات . وعن ذلك تنشأ عقدة أوديب . ثم يأخذ تقمص شخصية الأب بعد ذلك يتخذ صفة عدائية ويتحول الى رغبة في التخلص من الاب لكي يأخذ مكانه من الأم . وتصبح علاقته مع الأب منذ هذه اللحظة متناقضة .))(٣٨) ، ولقد توافرت كل الشروط الرئيسة لظهور عقدة اوديب لدى هاشم وترك اثرها الواضح في حياته ، ابتداءً من العلاقة الحميمة (

غير المألوفة) بين الأم والأبن مروراً بالكره الشديد الذي يكنه هذان الأثنان للأب ، الأمر الذي يعزز الأستعداد لظهور العقدة واستفحالها لدى هاشم ، اذ ان من الشائع في هذه العقدة ان يكره الطفل أباه(٣٩)، ولا يعد كره الم للأب شرطاً ليتحقق وجودها . اما في هذه الرواية فان علاقة الأم بالأب تتسم بالكره والنفور الواضح منه ، وانتهاء بحالة العزلة التي يعانيها هاشم والتي فرضتها عليه امه في طفولته ، واستمرت معه بعد وفاتها فلم نجد له صديقا واحداً على امتداد صفحات الرواية سوى ذلك الصبي الأعرج الذي دعاه في احد الأيام لعيد ميلاده والذي لايأتي على ذكره بعد ذلك .

اما فيما يخص دكتورة سلمى فعلى الرغم من الأهمية التي تحظى بها في علاقتها بهاشم فأنها لم تستطع ان تحل محل والدته سناء وان تسهم في اخراجه من عزلته التي يحسها كما كانت له والدته من قبل ، واذا حاولنا معرفة السبب الذي يكمن وراء ذلك ، فأنه يعود الى طبيعة الصلة الروحية التي كانت فيما سبق بينه وبين والدته والتي تمكنها من معرفة ما يدور بذهنه وكل رغباته واحتياجاته وتلبيها له قبل ان يتكلم بها ، ((كانت في الواقع مرهفة الأحاسيس بدرجة عالية . هي تقرأ الأرواح وترى ذلك في النظرات . يكفي ان تنظر الي لتعلم بم افكر وماذا اريد .))(٤٠) ، اما تلك الطبيبة فقد خيبت ظنه ولم تستطع اخراجه من عزلته والتغلب عليها ، ((ثم اني مع تلك الطبيبة ، لمحت لها بالخطوط العامة لصدمة تكويني ، فلم تستجب لكلامي ، شعرت من نظراتها ، انها قادرة على ادراك ما اقول ، لكنها حرنت في اللحظات الأخيرة ورفستني بطلباتها المادية الرخيصة.))(٤١) ، فقد كان يريد منها ان تكون له كما كانت له والدته ، وان تلتصق به روحياً ، ونجده يصرح بهذا المعنى بقوله : ((فالفهم ليس تبادلاً لغوياً حسب ، الفهم بالمعنى الصحيح ، الأنساني ، هو الأتصال عبر وجودين .)) (٤٢) ، وهذا الأتصال الروحي عبر الوجودين الأنسانيين ، هو الوحيد الذي يمكن من التغلب على العزلة ، كما يؤكد ذلك نيقولاي برديائف

((والحب والصداقة هما امل الأنسان الوحيد في الأنتصار على العزلة والحب حقاً هو افضل الوسائل لبلوغ هذه النهاية لأنه يجعل ((الأنا)) في اتصال مع ((الذات الأخرى)) مع ((أنا)) أخرى يمكن ان تنعكس فيها انعكاساً صادقاً ، وهذا هو الأتصال الروحي بين شخصية وأخرى ((...)) والحب وحده هو الذي يستطيع ان يحقق الأندماج الكامل مع كائن آخر ، هذا الاندماج الذي يعلو على العزلة))(٤٣).

ثم يأتي على قمة هذه العلاقات اثارة التساؤلات ، علاقة هاشم ((بزوجته)) آمال ، والحقيقة انه من الصعب ، ان لم يكن مستحيلاً ، ان يقطع المرء بشيء بشأن هذه العلاقة المعقدة ، ذلك اننا بمجرد محاولتنا التفكير فيها ، تعن لنا العديد من الأسئلة التي لا تجد لها حلاً نهائياً وحاسماً لها ، مثل : لماذا لم يحاول هاشم ان يصلح علاقته بآمال وان يجعلها علاقة طبيعية ، وفي أسوأ الأحوال ان يطلقها ؟ أو لماذا لم نسمع صوتاً لها (آمال) على مدى صفحات الرواية أو نرى وصفاً جسدياً أو معنوياً لها ، كما هو الشأن مع الشخصيات الأخرى ؟

ثم لماذا هذا التمسك بها ورفض طلاقها مع كل الضغوطات التي تعرض لها ، الى حد التهديد بأنهاء حياته ؟ تقول له دكتورة سلمى في احدى محاولاتها لأقناعه بحل مشكلته مع آمال وتنبيهه الى الخطر الذي يهدد حياته بسبب موقفه من هذه المشكلة : ((أنا .. أنا مصدومة فعلاً ولأسباب كثيرة . ان ما تقوله فظيع بدرجة لا تحتمل ، ولا يمكن السكوت عنه .. انت اذن في خطر شديد ، منذ ذلك اليوم حتى الآن في خطر شديد .. أتفهم ؟))(٤٤) ، يبدو اننا لا نجد امامنا طريقاً للأجابة عن هذه الأسئلة ، او لنقل عن بعضها ، سوى عبر المنظور الرمزي الذي يبدو ، وهناك اشارات كثيرة تلمح الى هذا ، ان المؤلف قد تعمده .

فماذا تكون آمال ؟

هل هي كما يشير الى ذلك اسمها ((مجموعة)) آمال ، يحاول هاشم التمسك بها وعدم فقدانها ، بعد ان فقد الكثير ؟

مما لاشك فيه ، ان آمال تمثل لهاشم الشيء الكثير والا فما يدعوه الى التمسك بها وعدم التخلي عنها مع كل الضغوطات التي يتعرض لها سواء في مجال عمله في الشركة أو في حياته الخاصة . ففي مجال عمله نجده يلحظ على رئيسه في العمل تغيراً واضحاً ، فبعد ان كان يعامله بكل احترام وتقدير ويرى فيه ركناً هاماً من اركان الشركة ويقوم بتكليفه بالكثير من المشاريع المهمة التي يعتمد عليها مستقبل الشركة ، اصبح الآن يعامله بكل فظاظة ، كما لو كان موظفاً ، لا زال في بداية مسيرته ينتظر ان يتلقى التعليمات والأوامر من رؤسائه في العمل ، ((طلبني مدير الشركة بطريقة غير مؤدبة ، أرسل من يستدعيني . لم يكن لديه شيء هام يقوله لي ، وكان يتحاشى النظر في وجهي ويقطع جمله واحياناً حتى كلماته . أمر غريب ، كان منزعجاً من خرائط وتصاميم كنت قدمتها له منذ شهرين تقريباً للإطلاع عليها . بدا عليه انه يكرهها ويريد ان يحرقها على رأسي ، أعادها الي قائلاً انها غير صالحة كلها كل شيء فيها حتى الورق والقلم .))(٤٥).

أما في مجال حياته الخاصة ، فهو يتعرض للضغط من قبل ابيه وخاله اضافة الى الدكتورة سلمى ، يقول له والده : ((انا احذرك . لا أريدك في بيتي اذا استمرت الحال على ما هي عليه ، جد لك مكاناً آخر تعيش فيه . هذا آخر كلام لي معك تذكره الآن تذكره جيداً .))(٤٦).

أما خاله فيقول له : ((اسمع ، انت تخطيء في اختيار الطريقة .. طريقتك هذه صفها بما تشاء ، وتخطيء في اختيار الأشخاص ايضاً . انت تخطيء مرتين ، وليس هذا قليلاً ، بل لعله اكثر مما يجب .))(٤٧)

ومن الجدير بالذكر ان الوسائل التي تسعى بها الشخصية لتتخطى شعورها بالعزلة ، لا تقتصر على محاولتها اقامة صلات روحية وتتواصل انسانياً ، بل نجدها تسعى الى ذلك بوسائل عديدة ، منها الابداع والأعمال الفنية ذلك ان ((الأنا)) تحاول ((ان تتغلب على عزلتها بوسائل عدة : كالمعرفة ، والحياة

الجنسية ، والحب ، والصداقة ، والحياة الأجتماعية ، والأعمال الأخلاقية ، والفن ، وغير ذلك من الوسائل المتعددة .))(٤٨) ، والملاحظ اننا منذ بداية الرواية نجد ان أول مكان تصل اليه الشخصية ، هو معرض تشكيلي(٤٩) ، اضافة الى عرضه لأرائه في الفن وقضاياه الفلسفية واستماعه الدائم الى معزوفات الموسيقار البولندي الشهير فردريك شوبان(٥٠) ، اضافة الى ما يبرز بوضوح في سلوك الشخصية في حركتها الدائمة ، وفي كثير من الأحيان من دون هدف محدد ، الأمر الذي يشير من دون لبس الى طبيعة هذه الحركة النفسية الهادفة للقضاء أو التغلب على الشعور بالعزلة ، اذ ((ان الزمان والمكان هما اللذان يحددان حياة عالمنا الموضوعي ، هما المصدر الحقيقي للعزلة ، كما انهما مصدر الوهم الخاص بالعلو عليها فالمكان والزمان يقسمان ويوحدان الناس لا على مستوى الوجود الحقيقي والاتصال الروحي الصادق ، ولكن على مستوى الحياة الموضوعية والاجتماعية وحدها والحركة التي تكتسبها ((الأنا)) في وجودها الزماني والمكاني لها أعظم الأهمية بالنسبة لها ، واستبعاد فكرة الزمان والمكان وسيلة للهروب من تثبيت العزلة))(٥١) ، وتعبر الشخصية عن إحساسها هذا بالقول : ((قيل لي أمس ، ولكني اشعر كأن القول كان اليوم ، بأن سيارتي قد اصلحت واعيدت الى البيت ((...)) سرني ان يكون بأمكاني معاودة الجولان في شوارع بغداد تحت المطر ، مثلما كان الأمر تلك الأيام .))(٥٢) ، وبالأضافة الى استبعاد فكرة المكان برغبته الدائمة بالأنتقال وعدم الأستقرار في مكان واحد ، فأننا نلحظ هنا استبعاده لفكرة الزمان ايضاً من خلال قوله ((قيل لي أمس ، ولكني اشعر كأن القول كان اليوم .)) .

ومما تجدر الإشارة اليه هنا ، تناغم طبيعة البناء الفني لهذه الرواية مع مضمونها ، فبصدد حركة الشخصية هذه ، يرى ادوين موير أن ((مهمة كاتب رواية الشخصية تكاد تشبه مهمة معلم الرقص اكثر مما تشبه عمل الكاتب المسرحي ، فعليه ان يدفع شخصياته الى الحركة الدائمة اكثر من دفعها الى

صنع الأحداث .))(٥٣).

ومع كل هذه المحاولات من لدن الشخصية لتتجاوز عزلتها ، الا انها لا تحصد غير الخيبة والخذلان ، فلم يتبق امامها بعد هذا الا ان تأتي النهاية / النتيجة الطبيعية لكل هذه الأخفاقات في تجاوز العزلة والأنتصار عليها ، وهي الموت او الأنتحار ، ذلك ان انعزال الذات الأنسانية ورفضها الأتصال بأي شيء خارجها أو ((بالأنت)) أو عجزها عنه ((عبارة عن انتحار .))(٥٤) .

الهوامش

(١) الخطاب الروائي ، ميخائيل باختين ، ترجمة محمد برادة ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة – باريس ، ط/١-١٩٨٧ ، ص ٨٨ .

(٢) الرواية ملحمة العصر الحديث ، ف.ف.كوزينوف ، ترجمة. د. جميل نصيف التكريتي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط/٢-١٩٨٦ ، ص ٨٤ .

(٣) نفسه ، ص ٨٥ .

(٤) الرواية كملحمة برجوازية ، جورج لوكاتش ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط/١ – ١٩٧٩ ،ص ٦ .

(٥) نفسه ، ص ٩ .

(٦) الرواية ملحمة العصر الحديث ، ص٩٦ .

(٧) منهج الواقعية في الإبداع الأدبي ، د. صلاح فضل ، دار المعارف ، القاهرة ط/٢-١٩٨٠،ص ٢٢٣.

(٨) خاتم الرمل ، فؤاد التكرلي ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٥ .

(٩) بناء الرواية ، ادوين موير ، ترجمة ابراهيم الصيرفي ، مراجعة د. عبد القادر القط ، الدار المصرية للتأليف والنشر ، ١٩٦٥ ، ص ١٨ .

(١٠) نفسه ، ص ١٩ .

(١١) الرواية ، ص ٣٤ .

(١٢) تاريخ الرواية الحديثة ، ر.م. البيريس ، ترجمة جورج سالم ، منشورات عويدات ، لبنان ، ط/١-١٩٦٧،ص٢٧٤.

(١٣) نفسه ، ص ٢٧٥ .

(١٤) نفسه ، ص ٢٧٦ .

(١٥) نفسه .

(١٦) الرواية ، ص ١٥٠ .

(١٧) الرواية ، ص ١٥١ .

(١٨) الرواية ، ص ١٥٢ .

(١٩) أشكال الرواية الحديثة ، تحرير واختيار ، وليام فان اوكونور ، ترجمة نجيب المانع ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٠ ، ص ٢٥٨ .

(٢٠) الرواية ، ص ٣٩ .

(٢١) الاستهلال الروائي ، ديناميكية البدايات في النص الروائي ، ياسين النصير ، مجلة الأقلام ، ع/١١-١٢ /١٩٨٦،ص٣٩.

(٢٢) الرواية ، ص ٥ .

(٢٣) الرواية ، ص ١٥٤ .

(٢٤) الرواية ، ص ٥٩ .

(٢٥) العزلة والمجتمع ،نيقولاي برديائف ، ترجمة فؤاد كامل ، مراجعة علي ادهم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط/٢-١٩٨٦،ص٩٦.

(٢٦) ينظر : الرواية ، ص ٨٠ .

(٢٧) الرواية ، ص ١٢٦ .

(٢٨) الرواية ، ص ٤٨

(٢٩) الرواية ، ص ٣٤ .

(٣٠) الرواية ، ص .

(٣١) ينظر : الرواية ، ص ٨٦ .

(٣٢) الرواية ، ص ٩ .

(٣٣) الرواية ، ص ١٢٥ .

(٣٤) الرواية ، ص ١٢٠ .

(٣٥) الرواية ، ص ١١٥ .

(٣٦) الرواية ، ص ١٠٤ — ١٠٥ .

(٣٧) ينظر : الرواية ، ص ١٠٤ .

(٣٨) الذات والغرائز ، سيجمند فرويد ترجمة د . محمد عثمان نجاتي ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٦٢ ص٦٥

(٣٩) مما تحسن الإشارة اليه ان فرويد يرى ان هناك اربع مراحل تمر بها حياة الطفل الجنسية :

١- المرحلة الفمية وتتميز بحصول الطفل على اللذة من منطقة الفم. ٢-المرحلة الاستية تبدا في حدود العام الاول ويحصل الطفل فيها على اللذة عن طريق التبرز وتظهر فيها ميول الطفل العدوانية .٣

-المرحلة القضيبية ، تبدا في السنة الثانية او الثالثة وتبلغ الحياة الجنسية عند الطفل فيها ذروتها اذ يظهر الطفل اهتماما واضحا بعضو الذكر التناسلي ، وفي هذه المرحلة تقع عقدة اوديب . ٤- مرحلة الكمون تبدا حوالي السنة الخامسة او السادسة وتستمر حتى المراهقة . وفيها يهدا النشاط الجنسي وتاخذ طاقة الطفل الجنسية تتصرف نحو كثير من انواع النشاط غير الجنسي . ينظر :- ثلاث رسائل في نظرية الجنس ، سيجمند فرويد ، ترجمة محمد عثمان نجاتي ، دار القلم ،القاهرة ،١٩٦٠، ص ٨٩ —١٤١ . وكذلك : معالم التحليل النفسي ، سيجمند فرويد ، ترجمة محمد عثمان نجاتي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٨، ص٦٠-٧١.

(٤٠) الرواية ، ص ٩٢ .

(٤١) الرواية ، ص ١١٣ .

(٤٢) الرواية : ص ١٢ .

(٤٣) العزلة والمجتمع ، ص ١٣٤ .

(٤٤) الرواية ، وينظر ، ص ٩٩ .

(٤٥) الرواية ، ص ٤٢ .

(٤٦) الرواية ، ص ٢٨ ، وينظر ص ١٤٣ .

(٤٧) الرواية ، ص ٤٤ .

(٤٨) العزلة والمجتمع ، ص ٩٥ .

(٤٩) ينظر : الرواية ، ص ٧ .

(٥٠) ينظر : الرواية ، ص ٣٣ .

(٥١) العزلة والمجتمع ، ص ٩٤ .

(٥٢) الرواية ، ص ١٠٨ .

(٥٣) بناء الرواية ، ص ٢٠ .

(٥٤) العزلة والمجتمع ، ص ٩١ .

المصادر والمراجع

- اشكال الرواية الحديثة ، تحرير واختيار وليام فان اوكونور ، ترجمة نجيب المانع ، منشورات وزارة الثقافة والأعلام ، بغداد ، ١٩٨٠ .
- بناء الرواية ، أدوين موير ، ترجمة ابراهيم الصيرفي ، مراجعة د. عبد القادر القط ، الدار المصرية للتأليف والنشر ،١٩٦٥ .
- تاريخ الرواية الحديثة ، ر.م. البير يس ، ترجمة جورج سالم ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط/١ – ١٩٦٧ .
- ثلاث رسائل في نظرية الجنس ، سيجمند فرويد ، ترجمة محمد عثمان بخاتي

، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

- خاتم الرمل ، فؤاد التكرلي ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٥ .

- الخطاب الروائي ، ميخائيل باختين ، ترجمة محمد برادة ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة – باريس ، ط / ١ – ١٩٨٧ .

- الذات والغرائز ، سيجمند فرويد ، ترجمة ، د. محمد عثمان نجاتي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط/٣ – ١٩٦١ .

- الرواية كملحمة برجوازية ، جورج لوكاتش ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط /١ – ١٩٧٩ .

- الرواية ملحمة العصر الحديث ، ف.ف.كوزينوف ، ترجمة د.جميل نصيف التكريتي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط/٢-١٩٨٦ .

- العزلة والمجتمع ، نيقولاي برديائف ، ترجمة فؤاد كامل ، مراجعة علي أدهم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط/٢ – ١٩٨٦ .

- معالم التحليل النفساني ، سيجمند فرويد ، ترجمة محمد عثمان نجاتي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

- منهج الواقعية في الإبداع الأدبي ، د. صلاح فضل ، دار المعارف ، القاهرة ، ط/٢-١٩٨٠.

الدوريات :

- الاستهلال الروائي ، ديناميكية البدايات في النص الروائي ، ياسين النصير ، مجلة الأقلام ، ع/١١-١٢،١٩٨٦ .